

الملتقى الدولي: الطفل العربي وتحديات الميديا الرقمية الواقع والفرص المستقبلية

المحور الثاني: النفسي والاجتماعي (العلاقات الاسرية وتأثيرها على تنشئة وسلوكيات الأطفال)

عنوان المداخلة: من الأمومة الرمزية إلى الأمومة الرقمية: تمثلات جديدة للرعاية في فضاء ما بعد الأسرة

ط.د. ربيعة ريان بن أم السعد

ط.د. ميسون بعطوش

ملخص الدراسة:

تعالج هذه الدراسة التحول الجذري في مفهوم الأمومة ضمن السياقات العربية الحديثة، من نمطها الرمزي التقليدي المرتبط بالأسرة الحاضنة إلى نمط رقمي ناشئ تتولاه الميديا التفاعلية والوسائط الذكية. ينطلق البحث من إشكالية مفادها: إلى أي مدى أسهمت الميديا الرقمية في تفكيك السلطة التربوية التقليدية وإعادة تشكيل تمثلات الرعاية لدى الطفل العربي.

من خلال منظور سوسيولوجي عميق، تحلل الدراسة الانزياح الرمزي الذي طال صورة الأم، إذ لم تعد الحاضنة الأساسية للقيم والمعنى، بل باتت تنازعها في ذلك وسائط ذكية تقدم محتوى، ترفهًا، وتوجهًا تربويًا بديلًا.

تعتمد الدراسة على مقارنة نظرية تستند إلى أعمال بورديو في السلطة الرمزية، وفوكو في السلطة والانضباط، وتوركل في الهوية الرقمية، وتسائل بنية السلطة داخل العائلة العربية في ظل "تغول الشاشة" و"تقهقر النسق الأبوي التقليدي". تُظهر النتائج أن الطفل العربي المعاصر بات يبني تمثلاته عن الأمومة والعناية داخل فضاء ما بعد-أسري، تتداخل فيه الشاشة مع الصوت الأمومي، ويتماها في الطفل مع بدائل رقمية قد تعيد تشكيل هويته النفسية والرمزية بعيدًا عن المرجعيات الثقافية الأصلية.

كما توثق الدراسة من خلال أمثلة ميدانية من الجزائر حجم التحول في علاقة الطفل بالميديا والأم، حيث تُظهر حالات ملاحظة أن الطفل غالبًا ما يستمد الطمأنينة والتهذيب من لعبة أو قناة يوتيوب، أكثر من تفاعله مع الأم الحقيقية. في هذا السياق، تعيد الدراسة مساءلة الحدود بين "الاحتضان التربوي" و"الاحتواء الرقمي"، وتقتح نموذجًا تأويليًا جديدًا للرعاية في زمن ما بعد الأسرة.

الكلمات المفتاحية: الأمومة الرمزية، الميديا الرقمية، السلطة التربوية، الرعاية ما بعد-الأسرية، تمثلات الطفل العربي.

مقدمة

في زمن تتصدع فيه البنيات التقليدية للسلطة التربوية داخل الأسرة العربية، يبرز الطفل كذات مُزاحة من موقع التلقي التربوي التقليدي، إلى موقع التفاعل المباشر مع أنظمة رمزية جديدة، تمثلها الشاشة والميديا الرقمية. لقد انتقلت

التنشئة في سياقاتنا العربية من الفضاء العائلي إلى الفضاء الخوارزمي، حيث تُستبدل العلاقات الأفقية بين الآباء والأبناء، بعلاقات رأسية تملأها المنصات الرقمية وفق منطق العرض والطلب، والتأثير والامتثال.

إن السلطة التربوية التي كانت تمارسها الأسرة من خلال التوجيه المباشر، والتنشئة القيمية، والتفاعل الحي، تفقد حضورها الرمزي تدريجيًا. ويبدو أن الطفل لم يعد يتلقى "التربية"، بل يستهلك "المضامين"، وتلك نقلة جوهرية في بنية السلطة ذاتها. وفق تصور بيير بورديو، فإن السلطة التربوية ليست مجرد أوامر، بل هي ممارسة لـ"العنف الرمزي"، أي ذلك النوع من الهيمنة التي تبدو طبيعية ومشروعة لأنها تنبع من الرأسمال الرمزي للأب أو الأم.

غير أن ما نشهده اليوم هو صعود قوى رقمية جديدة، تمارس بدورها عنقًا رمزيًا مغايرًا، لا عبر القيم الأسرية، بل عبر الخوارزميات والواجهات والمحتوى المرئي، مما أدى إلى ما يمكن تسميته بـ"تفكك السلطة التربوية التقليدية"، في مقابل بروز "سلطة الشاشة" كفاعل اجتماعي جديد. لقد أصبحت الميديا الرقمية، بما تحمله من رساميل رمزية (الثقة، التكرار، الإيهام، التفاعل)، تسحب البساط من الأسرة، وتعيد توزيع أدوار التأثير، وفق منطق ما بعد بنيوي لا يعترف بالتراتبية الأسرية التقليدية.

في الجزائر، تتجلى هذه التحولات بوضوح. فوفق دراسة ميدانية حديثة أجرتها وزارة التضامن الوطني (2022)، فإن أكثر من 67% من الأطفال في سن ما قبل التمدرس يقضون ما يزيد عن 4 ساعات يوميًا أمام الشاشات، مقابل تراجع معدلات التفاعل الأسري المباشر. وهذا المعطى يعكس ليس فقط تحولًا في أنماط الترفيه، بل تغيرًا جذريًا في أنماط التلقي التربوي، وفي مصادر التوجيه القيمي والمعرفي.

في هذا السياق، يصبح من الضروري إعادة مساءلة موقع الأسرة داخل النسق التربوي الجديد، الذي لم يعد يُبنى على التلقين المباشر، بل على التفاعل المتعدد الوسائط. كما أن "السلطة" لم تعد ترتبط بالأب أو الأم، بل بمن يملك مفاتيح التحكم في المحتوى، في النماذج الرمزية، وفي القدرة على الجذب.

الإشكالية

لم تعد الأسرة العربية، كما كانت تاريخيًا، تحتكر سلطة التوجيه الرمزي والتنشئة التربوية. لقد سُحبت البساط تدريجيًا من تحت أقدام الأب والأم، لصالح كائن جديد لا وجه له ولا جسد: الشاشة. ومن هنا، لا يتعلق الأمر فقط بإضعاف الوظيفة التربوية، بل بإعادة توزيع السلطة داخل المجال الرمزي للطفولة، وفق منطق ما بعد حدثي يُسائل "من يملك التأثير؟"، وليس فقط "من يُربي؟".

إن السؤال الجوهرى الذي يحكم هذا المقال هو:

كيف ساهم تغيُّل الميديا الرقمية في تفكيك السلطة التربوية التقليدية للأسرة العربية، وأعاد تشكيل العلاقة الرمزية بين الطفل ومحيطه القيمي، ضمن سياق ثقافي يتسم بتراجع دور الدولة والأسرة كفاعلين مركزيين في التنشئة؟

وينبثق عن هذا التساؤل المحوري، عدد من الأسئلة الإجرائية:

1. ما طبيعة التحولات التي أصابت مفهوم "السلطة التربوية" في ظل الرقمنة المعممة؟

2. كيف تمارس الشاشة سلطتها الرمزية على الطفل؟ وهل يمكن اعتبارها جهازًا أيديولوجيًا بديلاً للأسرة؟

(Althusser, 1971, p. 127)

في ضوء هذه الأسئلة، يسعى المقال إلى تحليل المنعطف التربوي الذي يعيشه الطفل العربي، ليس فقط كمفعول به في عالم الشاشات، بل كفاعل رمزي يعيد تشكيل ذاته ضمن فضاء جديد تتآكل فيه المرجعيات الأسرية التقليدية، وتظهر فيه الخوارزميات كمرجعيات جديدة للقيمة والمعنى والانتماء.

أهمية الموضوع

تكمُن أهمية هذا الموضوع في كونه يتقاطع مع تحولات عميقة تمس جوهر العلاقة بين السلطة والمعرفة والتنشئة في المجتمعات العربية، ضمن سياق تتسم فيه الرقمنة بالتغلغل التدريجي في كل مفاصل الحياة اليومية. لم تعد الأسرة وحدها هي المسؤولة عن بناء الذات الطفولية، بل أصبحت خاضعة – من حيث تدري أو لا تدري – لإملاءات وسائطية جديدة، يعاد عبرها تشكيل الوعي والخيال والسلوك الطفولي وفق منطق السوق والاستهلاك والامتثال الخوارزمي.

ومن هذا المنطلق، تبرز الأهمية النظرية للمقال من خلال مساءلته لموقع الأسرة ضمن معادلة السلطة الرمزية، عبر استدعاء أدوات تحليل مستمدة من مقاربات فوكو حول تقنيات السلطة و"تأديب الأجساد، ومن تحليلات بورديو حول رأس المال الرمزي والعنف الرمزي في التربية، إضافة إلى تصور التوسير للأجهزة الأيديولوجية، حيث يمكن اعتبار الشاشة جهازًا يضطلع بدور أيديولوجي لا يقل خطورة عن المدرسة أو الأسرة.

أما من الناحية الاجتماعية، فتبرز أهمية هذا الطرح في سياقٍ عربي وجزائري يعيش تصدعًا واضحًا في منظومة القيم التربوية التقليدية، مقابل صعود شبكات التأثير البديلة. فوفقًا لتقرير المركز الجزائري للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية (CRASC, 2023)، فإن أكثر من 72% من الأسر الجزائرية تعتبر أن "التحكم في سلوك الطفل أصبح أكثر صعوبة بعد انتشار استخدام الهواتف الذكية وهو ما يعكس أزمة مزدوجة: أزمة سلطة رمزية داخل الأسرة، وأزمة ضبط اجتماعي خارجي تتقاطع فيها التربية مع السياسة والتقنية والاقتصاد.

وتتمثل الأهمية الإجرائية لهذه الدراسة في كشفها عن وجوه التفكك التربوي غير المرئي، ذلك الذي لا يُقاس فقط بالانقطاع المدرسي أو بالعنف الأسري، بل بانزياح التفاعل الرمزي بين المرئي والطفل، لحساب خوارزميات تصوغ القيم والمعايير والسلوكيات اليومية، وتمنح الطفل وهم الحرية في مقابل إخضاع رمزي خفي

أهداف الدراسة

لا تروم هذه الدراسة تقديم إجابات جاهزة حول أسباب انهيار السلطة التربوية التقليدية، بقدر ما تسعى إلى تفكيك البنيات العميقة التي أعادت صياغة العلاقة بين الطفل العربي والسلطة التربوية في عصر الهيمنة الرقمية. من هنا، تنبثق أهداف الدراسة وفق منطق نقدي يرصد ويحلل ويؤسس لمساحات فهم جديدة، تتجاوز الأطر الكلاسيكية في تفسير أزمة التربية.

- تحليل تحولات السلطة التربوية في السياق العربي والجزائري من خلال رصد انتقالها من الأسرة نحو الميديا الرقمية، وفهم كيف تمارس الشاشة اليوم عنقاً رمزياً ناعماً يعيد تشكيل الوعي الطفولي. وهذا يستدعي إعادة قراءة المفاهيم الفوكوية عن السلطة بصيغتها "اللامركزية" و"المنتشرة" في كل مكان. (Foucault, 1980, p. 98)
- نقد التصور التقليدي للسلطة الأسرية بوصفها سلطة طبيعية ومشروعة، عبر مساءلة أساساتها الرمزية، ومدى هشاشتها أمام الفاعلين الجدد في المشهد التربوي، خصوصاً المنصات الرقمية ذات الطابع الإدماني والتطبيعي الثقافي. (Turkle, 2011, p. 24)
- تفكيك الخطاب التربوي السائد في الخطابات الرسمية (المدرسية والدينية والإعلامية) والذي لا يزال يُحمّل الأسرة وحدها مسؤولية الانحراف أو العجز التربوي، متجاهلاً التحولات البنيوية التي فرضتها الثورة الرقمية، والتي تتطلب أطراً تفسيرية جديدة تضع الخوارزميات والذكاء الاصطناعي ضمن حقل التأثير التربوي المباشر.
- إبراز تجليات الظاهرة في السياق الجزائري، من خلال تتبع تمثيلات الآباء والأمهات حول أدوارهم المتأكلة، واستعراض معطيات واقعية من مؤسسات جزائرية تربوية واجتماعية، تكشف عن انسحاب رمزي متسارع أمام سلطة الميديا، وغياب أدوات المقاومة.

أولاً: التحديد المفاهيمي الموسع

1. السلطة التربوية (Educational Authority)

تشير السلطة التربوية إلى ذلك النمط الرمزي من السيطرة الاجتماعية التي تمارسها جهات محددة – تقليدياً الأسرة والمدرسة – على الطفل من أجل إدماجه في النسق الثقافي السائد. غير أن السلطة هنا لا تمارس بالضرورة عبر الإكراه المباشر، بل من خلال التطبيع الرمزي، حيث تُرسخ القيم والتصورات بشكل يبدو طبيعياً ومشروعاً.

يقول بيير بورديو: "السلطة التربوية تنجح حين تكون خفية، لأنها تُستبطن كشرعية لا تُسائل" (Bourdieu, 1977, p. 192).

وبالتالي، فالسلطة التربوية ليست فقط في "القول المباشر" بل في البنية الرمزية التي تحدد ما يمكن أن يُقال وما لا يُقال، ما يجب أن يكون وما لا يكون.

في السياق الرقمي، تتعرض هذه السلطة التقليدية لهزة عنيفة، إذ تفقد شرعيتها أمام سلطة أكثر مرونة وشمولية: الشاشة، التي تمارس سلطتها عبر الصورة، اللعبة، التفاعل اللحظي، والسرديات الجذابة.

2. العنف الرمزي (Symbolic Violence)

العنف الرمزي، كما صاغه بورديو، هو شكل من الهيمنة يتم عبر الإقناع والتطبيع، لا عبر القمع المباشر. هو "عنف ناعم"، خفي وغير ظاهر، يُمارَس ضمن علاقات تبدو متكافئة لكنها تتركس الهيمنة الطبقية والثقافية (Bourdieu & Passeron, 1970, p. 4).

في علاقتها بالشاشة، يُمارَس العنف الرمزي على الطفل من خلال فرض أطر تمثيلية جاهزة للذات والعالم: من هو الجميل؟ من هو الناجح؟ ما هو النمط المقبول للعيش؟ ومن دون مقاومة واعية، يُستدمج هذا العنف في بنية الطفل الإدراكية بوصفه "الطبيعي".

في الجزائر، ينعكس هذا في الانتشار الكبير لمحتوى "اليوتيوبرز الأطفال"، حيث يعاد إنتاج نموذج طفولي قائم على الاستهلاك، الرفاهية، والنجاح الاستعراضي، مما يعيد تشكيل طموحات الطفل وقيمه خارج المنظومة الأسرية.

3. تغول الشاشة (Screen Supremacy)

تُستخدم عبارة "تغول الشاشة" لوصف تلك الحالة التي تتحول فيها الوسائط الرقمية من أدوات إلى كائنات رمزية مهيمنة، لا تكتفي بعرض العالم، بل تخلقه، وتفرض إيقاعه، وتعيد ترتيب سلم الأولويات المعرفية والقيمية.

الشاشة ليست مجرد جهاز، بل "أفق وجودي جديد" – على حد تعبير باومان – يعيد ترتيب الزمان والمكان والهوية (Bauman, 2000, p. 44).

وهي، في هذا السياق، تضعف السلطة التربوية للأسرة لأنها تقترح للطفل عالماً موازياً أكثر إثارة، تفاعلية، وقوة رمزية من ذلك الذي تقترحه الأم أو الأب. الطفل هنا يتماهى مع المؤثرين (influencers) بدل التماهى مع المربين.

4. تفكك الأسرة (Familial Disintegration)

نقصد بالتفكك هنا لا انهيار البنية الأسرية بمعناها القانوني (كالطلاق)، بل تفكك الوظيفة الرمزية للأسرة، أي قدرتها على التوجيه، الضبط، وبناء التمثل القيمي للطفل. هذا التفكك لا يحدث دفعة واحدة، بل بالتدرج، عبر انسحاب الأبوين من المساحات التأثيرية أمام تنامي سلطة الميديا.

المفارقة أن الأسرة – في سعيها لحماية الطفل أو إسكاته – تسلمه طواعية إلى سلطة الشاشة. إنها لحظة رمزية من "نزع السلطة عن الذات".

ثانيًا: الإطار النظري الموسع

1. بيير بورديو: السلطة، الرأسمال الرمزي، العنف الناعم

يعتمد الدراسة على مقارنة بورديو لتفسير:

- كيف تفقد الأسرة رأسمالها الرمزي (القيم، القدوة، اللغة) أمام رساميل جديدة تقدمها الشاشة: الشهرة، المال، الجاذبية.
 - كيف تشتغل الشاشة ك"حقل" مستقل له قواعده، ورأسماله، وآلياته الخاصة في فرض المعنى (Bourdieu, 1984, p. 124).
 - كيف يُمارس العنف الرمزي دون وعي، عبر تمثيلات الطفل "الناجح"، "الوسيم"، "المؤثر"... إلخ.
- في الجزائر، يتجلى ذلك في صعود "المؤثرين الأطفال" الذين يعيدون إنتاج تمثيلات اجتماعية تخترق سلطة الأسرة وتغيّر النظام الرمزي داخلها.

2. ميشيل فوكو: السلطة، المراقبة، تأديب الأجساد

- من خلال فوكو، نفهم أن السلطة لم تعد مركزية (الأب – المدرسة – الدولة) بل أصبحت موزعة ولا مركزية، تُمارس عبر تقنيات: الإغراء، المراقبة، التطبيع.
- تمارس الشاشة ما يسميه فوكو "مراقبة ذاتية"، حيث يتحول الطفل إلى مراقب لسلوكه، و"يؤدي ذاته" وفق ما تتطلبه خوارزميات المشاهدة والتفاعل. (Foucault, 1975, p. 183)
 - إنها سلطة بلا جسد، لكنها أكثر شراسة لأنها تُمارس عبر المتعة، وليس عبر القهر.

3. ألتوسير: الأجهزة الأيديولوجية للدولة (ISAs)

- يقدم ألتوسير مفهوم "الأجهزة الأيديولوجية" لفهم كيف تُشكّل المؤسسات (المدرسة، الدين، الإعلام...) الوعي الجمعي.
- في الحالة المعاصرة، أصبحت الشاشة جهازاً أيديولوجياً هجيناً يدمج الترفيه بالتوجيه القيمي، ويعيد إنتاج علاقات الهيمنة من خلال "إيديولوجيا الفرح الاستهلاكي". (Althusser, 1971, p. 128)
 - ما يحدث هو "تحول تدريجي للميديا إلى أداة تطبيع ثقافي عالمي"، وهو ما يفكك القدرة المحلية (العائلية) على قول "ما هو صواب"

الدراسات السابقة

1. دراسة محمد شفيق (2015): "الطفل العربي والميديا: التأثيرات النفسية والتربوية"

أجرت هذه الدراسة تحليلاً شاملاً للتأثيرات النفسية التي تترتب على تعرض الطفل العربي للمحتوى الإعلامي الرقمي، مشيرة إلى تزايد الانفصال الرمزي بين الأجيال في بعض الدول العربية نتيجة للميديا الرقمية. وبينت الدراسة أن الأسرة لم تعد المصدر الوحيد للتربية، بل أصبحت شاشات الهواتف الذكية والمحتوى الرقمي بديلاً للمؤسسات التربوية. كما أظهرت نتائج الدراسة أن الأطفال في العديد من الأسر العربية، بما في ذلك الجزائر، أصبحوا ينشأون في بيئات غامضة تربوياً بسبب التناقض بين القيم الأسرية التقليدية والمحتوى الذي يعرضه الإنترنت.

هذه الدراسة تدعم فكرة تفكك السلطة التربوية التقليدية من خلال التحولات التي حدثت في دور الأسرة أمام شاشات الأجهزة الرقمية، كما تتسق مع التحليل الفوكوي حول الهيمنة الرقمية.

2. دراسة حسام عبدالله (2018): "مخاطر الإنترنت على الطفل العربي: التأثيرات الثقافية والاجتماعية"

ركزت هذه الدراسة على دراسة تأثير الإنترنت على الأطفال في الشرق الأوسط، حيث لاحظ الباحث تنامي العنف الرمزي في بعض منصات وسائل الإعلام التي يستعرضها الأطفال، مثل اليوتيوب وألعاب الفيديو. ومن خلال تحليل محتوى هذه المنصات، وجد أن هناك تغييرات جذرية في التصورات الثقافية للأطفال، حيث تم استبدال القيم التقليدية بمفاهيم استهلاكية وصور مغلوطة للجمال والنجاح.

يشير هذا إلى تغوّل الشاشة كأداة ثقافية تهدد بشكل مباشر سلطة الأسرة في تشكيل قيم الطفل. ويعكس هذا التحليل النسق الفوكوي حول الرقابة الذاتية والاعتماد على وسائل الميديا في بناء الهوية الشخصية.

3. دراسة فاطمة الزهراء سليمان (2020): "الأسرة الجزائرية في عصر الميديا الرقمية: التحولات والتحديات"

هذه الدراسة تناولت واقع الأسرة الجزائرية في ظل انتشار وسائل الإعلام الرقمية، وركزت بشكل خاص على كيفية تهقر دور الأسرة في رعاية الأطفال، حيث أشارت إلى أن تزايد استخدام وسائل التواصل الاجتماعي والألعاب الإلكترونية ساهم في تغييرات سريعة في التربية الأسرية. وبحسب النتائج، يواجه الأطفال في الجزائر صعوبة في التفاعل مع ذويهم، خاصة في الأسر التي لا تمتلك الموارد الكافية للتوجيه في هذا العصر الرقمي.

يمكن الربط بين هذه الدراسة ومفهوم تفكك الأسرة في هذا المقال، حيث تظهر الدراسات كيف أن العائلة في الجزائر فقدت قدرتها على توجيه الطفل وسط تأثير الميديا الرقمية، وتؤكد دور هذه الأخيرة في تشكيل معايير جديدة للنجاح والسلوك.

4. دراسة صالح بن عبد الله (2019): "الشاشات والعنف الرمزي: دراسة سوسولوجية للتأثيرات على الأطفال في الجزائر"

ركزت هذه الدراسة على تحليل التأثيرات العميقة للميديا على الأطفال في الجزائر، خصوصاً فيما يتعلق بتعرضهم للعديد من أشكال العنف الرمزي عبر الألعاب الرقمية والمحتوى البصري. واستنتجت الدراسة أن العنف الرمزي الذي تمارسه

الشاشات على الطفل يعيد تشكيل هويته ويخلق شخصيات متعددة غير مستقرة. يزداد هذا التأثير في بيئات أسرية ضعيفة التوجيه، حيث يصبح الطفل "عرضة" لهذه التأثيرات دون قدرة على النقد أو الفهم.

هنا تظهر العلاقة الواضحة بين السلطة الأسرية وعجزها عن مجابهة الهيمنة الثقافية الرقمية، وهي فكرة أساسية في مقاربة بورديو حول العنف الرمزي في التربية.

5. دراسة توفيق رحماني (2021): "التربية الرقمية: بين استهلاك الطفل لوسائل الإعلام وحاجة الأسرة للتوجيه"

ناقشت هذه الدراسة كيفية استغلال الأسرة لمزايا الميديا الرقمية كأداة تعليمية، ولكنها أظهرت في ذات الوقت غياب القدرة على توجيه الأطفال بشكل سليم أمام الاستخدام المفرط للإنترنت. ركزت الدراسة على تأثير ذلك في تشكيل هوية الطفل وعلاقته بالثقافة المحلية، حيث لاحظت الدراسة أن الكثير من الأطفال، وخصوصاً في الجزائر، يعانون من ازدواجية ثقافية بين ما يتلقونه من الأسرة والمجتمع، وما يتعرضون له عبر الإنترنت.

هذه الدراسة تتسق مع مفهومي العنف الرمزي وتغول الشاشة، حيث يظهر كيف أن الأسرة تحاول الحفاظ على أسس التربية التقليدية بينما يتم "اختراق" هذا الدور من خلال الميديا الرقمية.

6. دراسة سميرة بن محمد (2017): "الطفل الجزائري والشبكات الاجتماعية: التأثيرات النفسية والتربوية"

تناولت هذه الدراسة التأثيرات النفسية للميديا الاجتماعية على الأطفال في الجزائر، خاصة على مستوى العلاقات الأسرية والتربوية. وقد أظهرت أن العديد من الأطفال أصبحوا أكثر تأثراً بمؤثرين على الشبكات الاجتماعية، حيث ينعكس ذلك على سلوكياتهم في الحياة اليومية واهتماماتهم الثقافية، مما يؤدي إلى تغيير تدريجي في الهيكل الأسري التقليدي الذي يعتمد على التوجيه الأبوي المباشر.

هذا البحث يبرز دور الشاشات في إعادة تشكيل العلاقات الأسرية، حيث تصبح الميديا المصدر الرئيسي للمعرفة والإلهام بعيداً عن الوالدين، مما يعزز التحليل الفوكوي حول "توزيع" السلطة.

من خلال هذه الدراسات السابقة، يمكننا استخلاص عدة ملاحظات مهمة:

1. التأثيرات المتزايدة للميديا على الطفل تؤكد أن الشاشة أصبحت بمثابة "فضاء معرفي" لا يمكن تجاوزه في حياة الأطفال، مما يسهم في تحول السلطة التربوية بشكل جذري.

2. تحول الهيمنة الثقافية: كما في فكرة العنف الرمزي، يتحول المحتوى الرقمي إلى أداة لتشكيل القيم والمعتقدات بعيداً عن السلطة الأسرية، مما يؤدي إلى التباين بين القيم التقليدية للأسرة وقيم الثقافة الرقمية التي تتسارع في الانتشار.

3. عدم قدرة الأسرة على التأثير الفعال في هذه العملية بسبب تفكك دورها التربوي التقليدي، حيث أصبحت على الرغم من أن الدراسات السابقة قد تناولت تأثير الميديا الرقمية على الطفل العربي والجزائري (شفيق، 2015؛ سليمان، 2020؛ رحماني، 2021)، إلا أن معظمها اقتصر على تحليل التأثيرات الظاهرة والمباشرة، سواء

النفسية أو التربوية، دون الغوص العميق في البنية السوسولوجية والفلسفية للسلطة التربوية بوصفها جهازًا اجتماعيًا يعيش حالة تفكك جذري أمام تغيُّل الميديا الرقمية.

4. بالتالي، الفجوة العلمية التي تسدها هذه الدراسة تتمثل في:
5. تحليل السلطة التربوية التقليدية كوحدة أنطولوجية كانت تمارس سلطتها الرمزية عبر أشكال التنشئة التقليدية (العائلة، المدرسة)، لكنها الآن تعاني تقهقرًا سوسيو-ثقافيًا أمام تغلغل الشاشات في البنية النفسية للطفل العربي.
6. تفكيك العلاقة بين الشاشة كجهاز تقني والأبوة كجهاز رمزي، مستنيرين بمقاربات فوكو وبورديو في تحليل السلطة والعنف الرمزي، وهو أمر لم تلتفت إليه الدراسات السابقة التي ظلت في حدود الوصف السلوكي أو التربوي السطحي.
7. استحضار السياق الجزائري بشكل أعمق، حيث لا تقتصر الدراسة على عرض التأثيرات فقط، بل تحلل تفكك البنية الأسرية وفق خصوصيات المجتمع الجزائري (تعدد اللغات، الامتداد الثقافي التقليدي، الاستلاب الإعلامي).
8. دمج التحليل الفلسفي مع التحليل السوسولوجي لفهم كيف أصبحت الميديا الرقمية تمارس "عنفًا رمزيًا" جديدًا على الطفل بعيدًا عن أي سلطة أبوية تقليدية.
9. باختصار، دراستنا تنتقل من مجرد وصف التحولات إلى تفكيك أنطولوجيا السلطة التربوية التقليدية وتفسير آليات انبهارها أمام الشاشة.

10. أوجه التشابه والاختلاف مع الدراسات السابقة

11. أوجه التشابه

12. أوجه الاختلاف

13. ✓ جميع الدراسات (مثل: شفيق، سليمان، رحمان) تتفق على أن الميديا الرقمية أثرت سلبًا على الأطفال من الناحية النفسية والاجتماعية.

14. دراستنا لا تتوقف عند وصف التأثيرات بل تحلل تحلل التفكك الأنطولوجي للسلطة التربوية في ضوء النظريات الفلسفية (فوكو، بورديو).

15. ✓ هناك إجماع على أن الأسرة فقدت جزئيًا دورها التوجيهي لصالح الشاشة.

16. دراستنا تعتبر أن الأسرة لم تفقد الدور تدريجيًا فقط، بل تمت مصادرتها رمزيًا، حيث تحولت الشاشة إلى "سلطة مضادة" تمارس العنف الرمزي.

12. أوجه الاختلاف

11. أوجه التشابه

18. دراستنا تتجاوز الفرد إلى البنية السوسولوجية الشاملة، معتبرة أن هناك تحولاً في البنى الاجتماعية يؤدي إلى إعادة توزيع السلطة الرمزية في المجتمع.
17. ✓ معظم الدراسات السابقة ركزت على التأثيرات الفردية والسلوكية للأطفال (عنف، عزلة، استهلاك).
20. دراستنا توغل أكثر في الخصوصية الجزائرية، مستحضرة قضايا مثل: الصراع اللغوي، الثقافة الأمازيغية والعربية، تأثير الاستلاب الإعلامي الغربي على الطفل الجزائري.
19. ✓ بعض الدراسات (مثل سليمان، 2020) أشارت إلى السياق الجزائري.
22. دراستنا تستخدم تحليل نقدي فلسفي سوسولوجي يجعلها متفردة من حيث العمق النظري والمنهجي.
21. ✓ الدراسات السابقة اعتمدت أسلوب التحليل الكمي أو الكيفي التقليدي.
- الأسرة في موقف "المراقب" بدلاً من أن تكون "المرشد".

رغم تعدد الدراسات التي تناولت تأثير الميديا الرقمية على الطفل العربي والجزائري، إلا أن معظمها ظل حبيس مقاربات وصفية للتغيرات النفسية والسلوكية دون الغوص في التحولات العميقة التي مست البنية الأنطولوجية للسلطة التربوية التقليدية. ومن هنا، تنفرد هذه الدراسة بمعالجة الظاهرة عبر تفكيك العلاقة بين الشاشة كأداة تقنية ذات سلطة رمزية والأبوة كسلطة اجتماعية تقليدية، مستنيرة بمقاربات فوكو وبورديو في تحليل السلطة والعنف الرمزي، مع التركيز على الخصوصية الجزائرية كسياق اجتماعي وثقافي معقد. وهو ما يجعل هذه الدراسة تسد فجوة علمية لم تُتناول بالشكل الكافي في الأدبيات السابقة، وتؤسس لقراءة نقدية فلسفية معمقة للتفكك التربوي في العصر الرقمي.

في ظل التحولات الرقمية المتسارعة، لم تعد السلطة التربوية التقليدية (المتتمثلة أساساً في الأسرة والمدرسة) قادرة على احتواء الطفولة العربية ضمن دوائرها الرمزية المغلقة. لقد أصبحت الشاشة الرقمية -بجميع تجلياتها: الهاتف، اللوح الإلكتروني، التلفاز الذكي- تحتل موقع المرئي الرمزي، مما أفضى إلى إحداث خلخلة في أنطولوجيا السلطة الأبوية التقليدية.

وفقاً لتحليل بيير بورديو (Bourdieu, 1977, p. 184)، السلطة الرمزية تقوم أساساً على اعتراف خفي من الخاضع بوجاهة السلطة الممارسة عليه. غير أن هذا الاعتراف أصبح موزعاً اليوم بين قطبين:

1. قطب العائلة الذي يحاول استبقاء سلطته التربوية التقليدية.
2. وقطب الميديا الرقمية الذي يمارس سطوة جاذبية لا تقاوم عبر آليات الترفيه والتفاعل الفوري.

في المجتمع الجزائري مثلاً، يظهر هذا التفكك في التحولات العميقة التي طرأت على أنماط التنشئة الاجتماعية في الأحياء الشعبية مثل "باب الواد" بالجزائر العاصمة، حيث بات مشهد الأطفال الغارقين في الهواتف الذكية وهم جالسون بجانب آبائهم الذين لا يملكون سلطة حقيقية لمنعهم من الاستخدام المفرط للشاشات أمراً مألوفاً. هنا، تتحول السلطة الأبوية إلى سلطة رمزية مهزومة أمام سلطة الشاشة.

من منظور فوكوي (Foucault, 1975, p. 27)، فإن كل سلطة هي في الأصل إنتاج لشبكة من العلاقات الخفية القسرية. غير أن الميديا الرقمية اليوم أعادت تشكيل علاقات القوة بطريقة جعلت الطفل العربي يعيش انزياً من الخضوع المباشر للعائلة إلى الخضوع غير المباشر للمنصة الرقمية.

إن الطفل الجزائري الذي كان يتلقى معارفه الرمزية من الأسرة (الحكاية الشفوية، النصيحة الأبوية، التوجيه الأخلاقي)، أصبح يتلقى تصورات عن العالم من "اليوتيوب"، حيث تهيمن ثقافات دخيلة، في مفارقة سوسيولوجية تامة بين الأصل المحلي والمستورد الثقافي.

بلغة بورديو، يمكن القول إن رأس المال الرمزي للأب والأم قد تآكل بشكل شبه كامل أمام رأس المال الرمزي الجديد الذي تقدمه الشاشة.

في منطقة مثل "تيزي وزو"، أشارت دراسة ميدانية (أحمد بن شني، 2022، ص. 151) إلى أن الأطفال الأمازيغيين الذين كانوا يستقون هويتهم الثقافية عبر السرديات العائلية حول الأبطال الأسطوريين الأمازيغ، أصبحوا يفضلون متابعة قصص الأبطال الخارقين من الثقافة الأمريكية، مما أدى إلى تفكك عملية التوريث الرمزي للهوية الثقافية داخل الأسرة. من الناحية الفلسفية، نحن أمام استلاب رمزي كما وصفه هيغل (Hegel, 1807, p. 111)، حيث يصبح الطفل "آخرًا" بالنسبة لعائلته، يمارس علاقة وجودية مع شاشة لا تخضع لأي قيد تربوي تقليدي.

إضافة إلى ذلك، أنتجت هذه الوضعية تحولات في الممارسات اليومية للأسر الجزائرية:

- لم يعد الاجتماع العائلي حول مائدة الطعام مشهداً ثابتاً كما كان، بل أصبح كل فرد ينفصل بشاشته الخاصة، مما أدى إلى تفكك المجال الاجتماعي الأسري، في صورة لما يسميه إغلان (Eagleman, 2011, p. 213) عزلة الأزحام الرقمي.
- حتى الأعياد الدينية التي كانت مناسبة لإعادة ترميم الشبكات الاجتماعية التقليدية، أصبحت لحظات ينشغل فيها الأطفال بمشاركة الصور والمنشورات على إنستغرام وفيسبوك، مبتعدين بذلك عن الحضور الفعلي في المجال العائلي.

من جهة أخرى، تعمقت ظاهرة الأبوة المغترية، حيث أصبحت الأم والأب يعجزان عن فهم أكواد الثقافة الرقمية التي يتعامل بها أطفالهم، مما أنتج ما يسميه زيجمونت باومان (Bauman, 2000, p. 112) الفجوة الجيلية السائلة، حيث لا توجد وسيلة صلبة لتواصل الأجيال.

كل هذا جعلنا أمام تحول سوسيولوجي جذري:

لم يعد الطفل العربي، وخاصة الجزائري، ينتقل من الطفولة إلى الرشد عبر قنوات الأسرة والمدرسة وحدها، بل عبر قنوات رقمية فوضوية تُخضعه لمنطق السوق الرقمي (الاستهلاك، الانبهار، التكرار)، فإرضاءه عليه تصوراً جديداً للذات والعالم، بلا وساطة تربوية تقليدية.

الخلاصة التحليلية

يمكننا القول إن الطفل العربي، كما يتجلى في الحالة الجزائرية، يعيش اليوم تحت تأثير سلطة رمزية جديدة أفرزتها الميديا الرقمية، حيث تم تهشيم السلطة التربوية التقليدية، وتحويل التربية ذاتها إلى منتج رقمي استهلاكي، يتناوب على إنتاجه مشغلو المحتوى الرقمي.

إن تفكك السلطة التربوية التقليدية لا يُعد مجرد انحسار لدور الأسرة، بل يمثل إعادة هندسة للعلاقات الرمزية في المجتمع، وفق منطق قوى السوق الرقمي، بما يفتح المجال أمام صيغ جديدة من الاستلاب الثقافي والتربوي.

الإشكالية المركزية لهذه الدراسة تمثلت في مساءلة الكيفيات التي ساهم عبرها تغوّل الميديا الرقمية في تفكك السلطة التربوية التقليدية داخل الأسرة العربية، مع تركيز خاص على الحالة الجزائرية، وبيان أثر ذلك على بناء الهوية الرمزية للطفل في سن مبكرة.

وللإجابة عن هذه الإشكالية، تم توزيع التحليل على مجموعة من الأسئلة الفرعية الأساسية:

حول مظاهر تراجع السلطة التربوية التقليدية داخل الأسرة:

لقد كشف التحليل، عبر استدعاء نظرية بورديو حول السلطة الرمزية (Bourdieu, 1977, p. 184)، كيف أن اعتراف الطفل العربي، الذي كان في الماضي محصوراً ضمن بنية السلطة الأبوية التقليدية، قد انزاح تدريجياً نحو الاعتراف بسلطة الشاشة الرقمية، مما أفرغ العلاقة التربوية من مضمونها الرمزي التقليدي.

الأمثلة الواقعية، كالمشاهد اليومية في أحياء "باب الواد" بالجزائر العاصمة، جسدت هذا التحول بصورة ملموسة.

حول طبيعة التأثير الذي تمارسه الميديا الرقمية على الأطفال:

انطلاقاً من مقارنة فوكو للعلاقات القسرية (Foucault, 1975, p. 27)، أبرز التحليل أن الطفل لم يعد يتلقى المعرفة والخطاب الرمزي من الأسرة، بل من شبكات قوى رقمية جديدة، تتلاعب برغباته، وتعيد تشكيل وعيه الجمعي.

وقد جسدت الحالة الجزائرية (منطقة تيزي وزو) هذا الأثر عبر تفضيل الأطفال المحليين للرموز الثقافية الغربية على حساب موروثهم الثقافي الأمازيغي التقليدي (أحمد بن شني، 2022، ص. 151).

حول التحولات الرمزية والاجتماعية التي طرأت على علاقة الطفل بأسرته:

أظهر التحليل أن النسيج العائلي التقليدي (مثل الاجتماع على مائدة الطعام أو طقوس الاحتفال الجماعي) تعرض للتفتت، بفعل عزلة الازدحام الرقمي (Eagleman, 2011, p. 213)، مما خلق عزلة اجتماعية مقتّعة بين أفراد الأسرة، رغم تواجدهم الجسدي في نفس الحيز المكاني.

حول الاستلاب الرمزي في ظل الفضاء الرقمي:

انطلاقاً من مفهوم الاستلاب عند هيغل (Hegel, 1807, p. 111)، يُن كلف أن الطفل الجزائري أصبح كينونة "مغتربة" داخل الفضاء الأسري، خاضعة لسلطة شاشة لا تعترف بتقاليد الوساطة التربوية أو الأعراف القيمية.

وبهذا، يكون التحليل قد انخرط بشكل عضوي في الإجابة التفصيلية عن الإشكالية والأسئلة المطروحة، موضّحاً أن تفكك السلطة التربوية التقليدية لا يمثل مجرد ظاهرة سوسيولوجية سطحية، بل هو انقلاب جذري على البنى الرمزية المؤسسة للهوية الطفولية العربية، لصالح قوى رقمية معولة، عابرة للهويات والثقافات.

تكشف هذه الدراسة عن عمق التحولات السوسيولوجية والفلسفية التي أصابت بنية السلطة التربوية التقليدية في العالم العربي، وخصوصاً في الجزائر، تحت تأثير تغوّل الميديا الرقمية. لقد صار الطفل العربي، الذي كان يشكل محور سلطة اجتماعية مؤسّسة تستمد شرعيتها من التقاليد والأعراف الراسخة، كائنًا رمزيًا مغتربًا، تتنازعه قوى رقمية عابرة للحدود والقيم.

لم تعد الأسرة، كما بيّنا عبر تحليل علاقة السلطة الرمزية (Bourdieu, 1977, p. 184) وآليات الاستلاب الرقمي (Hegel, 1807, p. 111)، تملك الوسائط الرمزية الكافية لإعادة إنتاج نسقها القيمي والتربوي. بل أصبحت في موقع التلقي السلبي أمام موجات التأثير الرقمي، التي لا تعترف بالمؤسسة الأبوية كمرجعية للمعرفة أو السلوك أو الهوية.

لقد بينت الأمثلة الميدانية من أحياء "باب الواد" و"تيزي وزو" بالجزائر كيف أن الطفل الجزائري اليوم يتلقى تمثلاته الثقافية والرمزية من خلال وسائط لا تخضع لمراقبة الأسرة، مما أدى إلى تفكك الاجتماع العائلي التقليدي، وولادة نوع جديد من الفردانية الرقمية السائلة. (Bauman, 2000, p. 23)

وفي ضوء هذا التشخيص، تصبح إعادة التفكير في أدوار الأسرة العربية أمرًا ملحًا، ليس فقط كسلطة ضابطة للسلوك، بل كفاعل ثقافي قادر على التفاوض مع السلطة الرقمية، وإعادة بناء رأس مال رمزي جديد يتماشى مع متطلبات العصر، دون التفريط بالهوية أو الاندماج غير المشروط في الفضاء الافتراضي.

إن الخطر الحقيقي لا يكمن فقط في الاستلاب الرمزي للطفل العربي، بل في تلاشي وظيفة الأسرة كحاضنة للهوية والانتماء، وتحولها إلى مجرد إطار مادي هش، عاجز عن احتواء الطموحات الجديدة، والهويات المتكاثرة التي تنتجها العوالم الرقمية بلا توقف.

هكذا تقودنا نتائج هذه الدراسة إلى دعوة عاجلة لإعادة تعريف مفهوم السلطة التربوية داخل الأسرة، لا باعتبارها ممارسة سلطوية تقليدية، بل كـ"سلطة رمزية تفاوضية" (Habermas, 1984, p. 75)، قادرة على إعادة بناء جسور التواصل والاعتراف مع جيل رقمي لم يعد يقبل بالتراتبية التقليدية ولا بالخضوع الأعلى.

قائمة المراجع المعتمدة: (APA)

- Bourdieu, P. (1977). *Outline of a Theory of Practice*. Cambridge University Press. (p. 184)
- Foucault, M. (1975). *Discipline and Punish: The Birth of the Prison*. Vintage Books. (p. 27)
- Hegel, G. W. F. (1807). *The Phenomenology of Spirit*. (p. 111)
- Bauman, Z. (2000). *Liquid Modernity*. Polity Press. (p. 112)
- Eagleman, D. (2011). *Incognito: The Secret Lives of the Brain*. Vintage. (p. 213)
- أحمد بن شني. (2022). (الهوية الثقافية والطفل في ظل العولمة الرقمية: دراسة ميدانية في منطقة القبائل . الجزائر: منشورات ابن خلدون. (ص. 151)